العدد 19 تشرين الثاني 2025
No.19 – Nov 2025
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

تمثلات العقبة والانتصار في سورة يوسف(دراسة موضوعية)

م.م مها جاسم محمد

جامعة بغداد/كلية التربية للبنات

maha.j@coeduw.uobaghdad.edu.iq

The Representations of Victory and Obstacle in Surah Yusuf: A Thematic Study

Assistant Lecturer: Maha Jassim Mohammed

University of Baghdad/College of Education for Women

maha.j@coeduw.uobaghdad.edu.iq

المستخلص

تعد سورة يوسف نموذج الانتصار الأخلاقي والروحي، حيث يظهر الصبر على الابتلاءات والثبات على الحق كسبيل للنجاح والتمكين، كما تؤكد السورة حكمة كتمان الأخبار، وضرورة الحذر من الحسد، وتجسد أن الفرج بعد الشدة واليسر بعد العسر سنة إلهية. تقدم السورة دروساً عملية في الثبات على القيم الأخلاقية ومواجهة تحديات الحياة، لتكون مرجعاً للانتصار الأخلاقي والروحي في مختلف المواقف.

Abstract

Surah Yusuf stands as a timeless paradigm of moral and spiritual triumph. The chapter powerfully illustrates how patience in the face of adversity and unwavering commitment to truth pave the path to ultimate success and empowerment. Central to its narrative is the profound wisdom behind discretion in sharing news, the critical importance of guarding against envy, and the embodiment of the divine principle that relief inevitably follows distress.

Ultimately, Surah Yusuf offers profound, practical lessons in steadfastly upholding moral values when confronting life's most daunting challenges. It thus serves as an enduring guide for achieving ethical and spiritual victory across the myriad situations of human existence

الكلمات المفتاحية:

القران الكريم، سورة يوسف، العقبة، الانتصار، الحسد، الفرج بعد الشدة، الكتمان.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على نبينا محمد أشرف الخلق أجمعين, وعلى آله الطيبين الطاهرين, وصحبه المنتجبين, أما بعد...

فإن أعظم الدراسات هي تلك التي يكون محورها القرآن الكريم، فهي فوز في الدنيا، ونجاة في الآخرة. وقد ذكر الله تعالى في كتابه أنه يقص على رسوله أحسن القصص، ثم ذكر قصة نبيه يوسف (عليه السلام) وبسطها، وذكر ما جرى فيها، فكانت دروسا وعبرا يستفيد منها عامة الناس؛ كونها تلامس حياة البشر بشكل مباشر, إذ مر نبي الله يوسف (عليه السلام) بمحن وشدائد أعاقت تحقيق رؤيا رآها في صباه وبشره أبيه نبي الله يعقوب (عليه السلام) بتحقيقها, إلا أنها لم تتحقق إلا بعد عقبات مر بها في حياته, فكان تحقيقها بمثابة انتصار لإرادة الحق على الباطل. فجاء البحث تحت عنوان ((العقبات والانتصارات في سورة يوسف)).

واقتضت منهجية البحث أن يأتي على ثلاثة مباحث مسبوقة بمقدمة وختم البحث بأهم النتائج مع ذكر المصادر.

تناول المبحث الأول مفهوم العقبات والتعريف بسورة يوسف, أما المبحث الثاني فدرس أهم العقبات التي مر بها النبي الله يوسف (عليه السلام) في حياته, وهي: (المؤامرة والتنفيذ من قبل إخوته, وكيد النساء به, وسنون السجن). أما المبحث الثالث فسلط الضوء على الانتصارات التي تحققت بعد ما مره به من مصاعب, فجاء تحت عنوان: (الانتصارات), ودرس: (تمكين يوسف (عليه السلام) في الأرض, ومجيء إخوة يوسف (عليه السلام) طالبين, ولقاء نبي الله يعقوب بولده يوسف (عليهما السلام) وتحقيق الرؤيا).

المبحث الأول:

مفهوم العقبات والتعريف بسورة يوسف

أولا: مفهوم العقبات:

العقبات لغة: من (عَقَبَ): ((العين والقاف والباء أصلان صحيحان: أحدهما يدل على تأخير شيء... والأصل الآخر يدل على ارتفاع وشدة وصعوبة))[1].

أما اصطلاحا فلم تعثر الباحثة في المعجمات والكتب التي وقعت بين يديها والخاصة بأهل الفقه والحديث على تعريف (للعقبات), لكن مع أمعان النظر بالتعريف اللغوي لمفردة (العقبات) نجده يناغم ما يسعى إليه البحث, وهو يهدف إلى إيضاح أسباب تأخر لقاء نبي الله يعقوب (عليه سلام) بولده نبي الله يوسف (عليه السلام), وتحقيق رؤياه (عليه السلام), مع بيان المصاعب والشدائد التي مر بها في حياته.

ثانيا: التعريف بسورة يوسف:

هي سورة مكية بالإجماع[2], عدد آياتها 111 آية, ترتيبها في القران الكريم 12, ونزلت بعد سورة هود[3]. وتروي هذه السورة قصة حياة نبي الله يوسف (عليه السلام) مع إخوته.

سميت بسورة يوسف لأنها ذكرت قصة نبي الله يوسف (عليه السلام) كاملة دون غيرها من سور القرآن الكريم.

سورة يوسف إحدى السور المكية التي تناولت قصص الأنبياء وقد أفردت الحديث عن قصة نبي الله (يوسف بن يعقوب), وما لاقاه من أنواع البلاء ومن ضروب المحن والشدائد من إخوته ومن الآخرين في

([1]) مقاييس اللغة: 4/ 139.

([2]) ينظر: زاد المسير: 176/4.

([3]) الكشاف: 250/3, التسهيل: 381/1.

بيت عزيز مصر وفي السجن وفي تآمر النسوة حتى نجاه الله من ذلك الضيق والمقصود بها تسلية النبي بما مر عليه من الكرب والشدة وما لاقاه من أذى القريب والبعيد.

ثالثا: سبب نزول السورة:

قال عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي: ((ويروى أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف فنزلت السورة بسبب ذلك))[4]. وقال أيضا: ((ويروى أن اليهود أمروا كفار مكة أن يسألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن السبب الذي أحل بني إسرائيل بمصر فنزلت السورة))[5].

وقال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ابن الجوزي: ((فصل في نزولها هي مكية بالإجماع وفي سبب نزولها قولان:

أما القول **الأول**: فروي عن سعد بن أبي وقاص قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا فأنزل الله تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}[6]إلى قوله: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}[7]فتلاه عليهم زمانا، فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ}[8] كل ذلك يؤمرون بالقرآن.

قال عون بن عبد الله: مل أصحاب رسول الله ﷺ ملة فقالوا: يا رسول الله حدثنا فأنزل الله عز وجل: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ}[9] ثم إنهم ملوا ملة أخرى فقالوا: يا رسول الله فوق الحديث، ودون القرآن يعنون القصص فأنزل الله: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}[10] فأراد الحديث فدلهم على أحسن الحديث وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص.

والثاني: رواه الضحاك عن ابن عباس قال: سألت اليهود النبي ﷺ فقالوا: حدثنا عن أمر يعقوب وولده وشأن يوسف فأنزل الله عز وجل: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}[11], وذلك أن التوراة بالعبرانية والإنجيل بالسريانية وأنتم قوم عرب، ولو أنزلته بغير العربية ما فهمتموه.

وقد بينا تفسير أول هذه السورة في أول يونس إلا أنه قد ذكر ابن الأنباري زيادة وجه في هذه السورة، فقال: لما لحق أصحاب رسول الله ﷺ ملل وسآمة فقالوا له: (حدثنا بما يزيل عنا هذا الملل)، فقال: تلك الأحاديث التي تقدرون الانتفاع بها وانصراف الملل هي آيات الكتاب المبين))[12].

قال محمود بن أحمد بن موسى العيني: ((وسبب نزولها سؤال اليهود عن أمر يعقوب ويوسف عليه السلام))[13].

وقال علي بن أحمد الواحدي: ((قوله تعالى: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}[14]. أخبرنا عبد القاهر بن طاهر قال: أخبرنا أبو عمرو بن مطر قال: أخبرنا جعفر بن محمد بن الحسن بن المستفاض قال: حدثنا

([4]) المحرر الوجيز: 38/12.

([5]) المصدر نفسه: 38/12.

[6] سورة يوسف، آية: 1.

[7] سورة يوسف، آية: 3.

[8] سورة الزمر، آية: 23.

[9] سورة الزمر، آية: 23.

[10] سورة يوسف، آية: 3.

[11] سورة يوسف، آية: 1-2.

([12]) زاد المسير: 176/4-177.

([13]) عمدة القاري: 408/18.

إسحاق بن إبراهيم الحنظلي قال: حدثنا عمرو بن محمد القرشي قال: حدثنا خلاد بن مسلم الصفار عن عمرو بن قيس الملائي عن عمرو بن مرة عن مصعب بن سعد عن أبيه سعد بن أبي وقاص في قوله عز وجل: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}[15] قال: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ فتلاه عليهم زمانا فقالوا: يا رسول الله لو قصصت فأنزل الله تعالى: {الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ}[16] إلى قوله: {نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}[17] الآية فتلاه عليهم زمانا فقالوا: يا رسول الله لو حدثتنا فأنزل الله تعالى:{اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا}[18] قال: كل ذلك تؤمرون بالقرآن. رواه الحاكم أبو عبد الله في صحيحه عن أبي زكريا العنبري عن محمد بن عبد السلام عن إسحاق بن إبراهيم.

وقال عون بن عبد الله: مل أصحاب رسول الله ملة فقالوا: يا رسول الله حدثنا فأنزل الله تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ}[19] الآية قال: ثم إنهم ملوا ملة أخرى فقالوا: يا رسول الله فوق الحديث ودون القرآن يعنون القصص فأنزل الله تعالى:{نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ}[20], فأرادوا الحديث فدلهم على أحسن الحديث وأرادوا القصص فدلهم على أحسن القصص))[21].

المبحث الثاني الأول:

العقبات

أولا: المؤامرة والتنفيذ:

تبدأ قصة نبي الله يوسف (عليه السلام) بحوار مع أبيه نبي الله يعقوب (عليه السلام)، بعيدا عن أولاده الذين يكبرون يوسف (عليه السلام) في السن، ما يدل وبشكل واضح على النضوج المبكر في تفكير نبي الله يوسف (عليه السلام)[22]. جاء الحوار بعد رؤيا ورد نصها في القرآن الكريم: {إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ}[23]. أجمع أهل العلم والتأويل أن الأحد عشر كوكباً هم الأحد عشر نفراً وهم إخوته أما الشمس والقمر فهم أبوه وأمهُ وفي رواية عن ابن عباس أمه وخالته؛ لأن أمه توفيت عند ولادة بنيامين والراجح من هذا هو أبوه وأمه[24]. أما قولهم في السجود، فهو سجود احترام وتواضع وخضوع لا سجود عبادة فقد وصف (السجود) وهو فعل غير عاقل بوصف العاقل للدلالة على إنها رؤيا إيهام لا مجرد أضغاث أحلام، وقال ابن عباس في هذا عن النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ((الأنبياء وحي، والرؤيا الصالحة جزء من النبوة))[25].

---

[14] سورة يوسف، آية: 3.

[15] سورة يوسف، آية: 3.

[16] سورة يوسف، آية: 1.

[17] سورة يوسف، آية: 3.

[18] سورة الزمر، آية: 23.

[19] سورة الزمر، آية: 23.

[20] سورة يوسف، آية: 3.

[21] أسباب النزول: 274.

[22] ينظر: يوسف في القرآن والتوراة، زاهية الدجاني، 24.

[23] سورة يوسف، آية: 4-6.

[24] ينظر: والتبيان في تفسير القرآن، الطوسي، 94/6.

[25] الجامع الصحيح، البخاري، باب كيف بدء الوحي، 5/1.

نصح نبي الله يعقوب (عليه السلام) ولده يوسف أن يكتم أمر هذه الرؤيا وبالأخص عن إخوته خوفاً عليه من حسدهم وكيدهم، فإن كل ذي نعمة محسود كما جاء في الحديث النبوي الشريف: ((استعينوا على إنجاح الحوائج بكتمانها فإن كل ذي نعمةٍ محسود))[26] ثم بيَّن له (عليه السلام) أن سبب هذا الحسد والكيد قائلاً: إن السبب الرئيس في ذلك الشيطان، لأن الشيطان عدوٌّ لآدم وبنيه ومن دأبه إيقاع الفتنة بين الناس وفي هذا قال نبي الله يوسف (عليه السلام) فيما بعد: {مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي}[27]، ثم أخبره نبي الله يعقوب (عليه السلام) أن الله اختارك لنفسه واصطفاك لنبوته على آلك وغيرهم، وكذلك يعلمك تأويل الرؤيا، وتأويل الرؤيا هنا هو الإخبار بما تؤول إليه في الوجود، وتعليم الله تعالى نبي الله يوسف (عليه السلام) تأويل الرؤيا أي: إلهامه الصواب فيها أو صدق الفراسة، وأجمع المفسرون في (إتمام النعمة) أي: تكون بإرسالهِ رسولاً والإيحاء إليه، ثم يتم هذه النعمة أي: نعمة النبوة على آل يعقوب[28].

ولما رأى إخوة يوسف (عليه السلام) من إثار أبيهم (عليه السلام) له ولأخيه الأصغر وحدبه عليهما, ما لم يكن لواحد منهم, فاغتاظوا وهم في سن الشباب وطيش الحداثة, فأضرموا له الشر[29]. متهمين أباهم بالمفاضلة, وفي حقيقة الأمر أن هذا كان خطأ منهم لا من أبيهم لأن يوسف وأخاه كانا صغيرين يحتاجان للرعاية أكثر وهذا مما لاشك فيه أبداً، أو لعله أي: نبي الله يعقوب (عليه السلام) كان يرى في صغيره يوسف (عليه السلام) إرهاصات النبوة، وتأكد من ذلك بما قصه عليه من أمر الرؤيا، ومع ذلك يطلب الاحتياط في معاملة الأولاد ولو في القبلة وتجنب ما يثير التباغض والتحاسد بينهم[30].

ولابد من الإشارة ونحن بهذا الصدد أن الأب لا يُطالب أن يسوي بين أبناءه بالأمور العاطفية كالمحبة والشفقة وغيرها، لأنه لا يقدر على ذلك، فلا سلطان للإنسان على قلبه ولا يستطيع أن يتحكم بعواطفه كيفما يريد، على العكس في الأمور المادية فهو مطالب لا وبل محاسب أمام الله أن يسوي بين أبناءه فيها منعاً للتباغض والتحاسد بينهم[31].

ولاشك أن أول خطوة يقوم بها الشخص الذي يغار من الآخر هي العمل على الفصل بين المحبوبين، والإيقاع بينهما بأي شكل من الأشكال، فكيف يصل أخوة يوسف إلى هدفهم؟ وكيف ينفردون به وهو يحظى بحماية ورعاية أبيه؟ فراحوا يصطنعون قناع الحب بدلاً من الكراهية، وقناع الحماية والرعاية بدلاً من الغيرة والحسد، وقناع الأمان بدلاً من الغدر، وقناع البراءة بدلاً من الجريمة. فقالوا لأبيهم -من كتاب الله العزيز-: {يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ * أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}[32], فأجابهم الأب بقلب خائف: {إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ}[33], وكان جوابهم لا يبقي له علة يتشبث بها: {لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَخَاسِرُونَ}[34], فلما انفردوا به وانتهوا إلى إلقائه في الجب بعد أن جردوه قميصه, قالوا: {وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا

---

[26] المعجم الكبير، الطبراني، برقم 183، 94/2.

[27] سورة يوسف، آية: 100.

[28] ينظر: البغوي، 214/4، ومجمع البيان، الطبرسي، 361/5.

[29] يوسف بين مكر الأخوة وكيد النسوة/ 22.

[30] ينظر: التفسير المنير، وهبه الزحيلي، 214/12-215.

[31] ينظر: الوحي والنبوة والعلم، عبد الحميد طهماز، 32.

[32] سورة يوسف، آية: 11.

[33] سورة يوسف، آية: 13.

[34] سورة يوسف، آية: 14.

صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ}[35], هنا ظهرت مهارة يعقوب (عليه السلام) في كشف كذبهم وما أمهره من قاضٍ! قال لهم متهكما ((ما أحلم هذا الذئب الذي افترس ولدي ولم يمزق عليه قميصه, ولم يعمل في قميصه نابا ولا ظفرا))[36] {بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ}[37].

ثم ذكر الله تعالى في كتابه العزيز آلية التنفيذ بشكل رائع ومفصل حينما قال بعض الإخوة لبعض {اقْتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُواْ مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ}[38], ثم قال كبيرهم في العمر أو في العقل لا علم لنا في هذا، وهو يهوذا أو روبيل ولم يصرح القرآن الكريم باسمه، لا تقدموا على قتلهِ فإن القتل جريمة عظيمة وكبيرة عند الله ولاسيما أنه أخوكم، ولكن ألقوه في أسفل البئر، حتى يلتقطه بعض المسافرين السائرين في الأرض للتجارة، وبهذا يتحقق غرضكم، بإبعاده عن أبيه ولا حاجة لنا بقلته[39]، وبهذا غيَّر الله تعالى الأقدار وقدَّر لنبيه الكريم أن يعيش.

ثانيا: كيد النساء:

مكث نبي الله يوسف عليه السلام في البئر ثلاثة أيام بعد أن تركوه إخوته وحيداً فريداً، حتى جاءت سيارة تبحث عن ماء فأرسلوا واردهم، وهو الذي يبحث لهم عن الماء، فلما جاء ذلك البئر أدلى دلوه، فتشبث يوسف (عليه السلام) بهذا الدلو، فأخرجه منها، فأنزل البشرى منزلة شخص ينادي، فاستبشروا به، لأنه غلام يُباع فاستعيد الحر، متناسين أن الله تعالى قادر على دفع هذا الواقع عن نبيه الكريم[40]. ثم قدّر الله تعالى أن يشتري يوسف (عليه السلام) رجل ذا حلم وتفرس فتفرس في وجه الكريم الخير والنبل وحسن الخلق، وكان هذا الرجل ثاني شخصية في مصر أي: بعد الملك ويطلق عليه العزيز كما صرحت به الآيات الكريمات، فاشتراه وأخذه معززاً مكرماً إلى بيتهِ وأوصى به زوجته وبهذا يخبرنا القرآن الكريم على لسان العزيز قائلاً: {وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ}[41] أي اجعلي منزله ومقامهُ عندنا كريم، أي: حسناً مرضياً، وهذا يدل على كرم وحسن أخلاق العزيز، عسى أن ينفعنا في قضاء حاجتنا، أو نتخذه ولداً لنا ويبدو من هذا الكلام أن عزيز مصر كان لا ولد له[42].

ولابد من الإشارة ونحن بهذا الصدد، أن نبي الله يوسف أُعطي جمالاً وبهاءاً لا نظير له في زمانه[43]، والدليل على ذلك ما جاء في الحديث النبوي الشريف، عندما وصفه النبي محمد (ﷺ)في ليلة الإسراء والمعراج قائلاً: ((... فإذا بيوسف إذا هو قد أعطي شطر الحُسن))[44].

وبعد أن اكتملت رجولة ووسامة يوسف (عليه السلام) أُعجبت به امرأة العزيز وعشقتهُ, لاسيما أنه أمام ناظريها؛ كونه يعيش في قصرها قريب منها، فعصت هذه المرأة ربها وراودت فتاها عن نفسه، وتجاهلت

---

[35] سورة يوسف، آية: 18.

[36] قصص الأنبياء والتاريخ: 1/ 276.

[37] سورة يوسف، آية: 18.

[38] سورة يوسف، آية: 9.

[39] ينظر: البغوي، 218/4، والكشاف، الزمخشري، 421/2، ومجمع البيان، الطبرسي، 362/5، والبداية والنهاية، ابن كثير، 200/1، وتفسير الصافي، الفيض الكاشاني، 7/3.

[40] ينظر: الكشاف، الزمخشري، 426/2، والقرآن العظيم، ابن كثير، 376/4.

[41] سورة يوسف، آية: 21.

[42] ينظر: الكشاف الزمخشري، 428/2، والوسيط، محمد سيد طنطاوي، 2287/1.

[43] ينظر: الوحي والنبي والعلم، عبد الحميد طهماز، 43.

[44] مسند الإمام أحمد، برقم 14082، 286/3.

تماماً أنها في مقام أمه، فهي التي ربتهُ وكفلته وجعلت له في بيتها مكاناً مرضياً، قال تعالى: {وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ}[45]. قيل في المراودة أصلها : ((الإرادة والطلبُ برفق ولين))[46]. وقال الزمخشري: ((المراودة مفاعلة من راد يرود إذا جاء وذهب كأن المعنى خادعته عن نفسه أي فعلت ما يفعل المخادع لصاحبه عن الشيء الذي لا يريد أن يخرجه من يده، يحتال أن يغلبهُ عليه ويأخذه منه وهي عبارة عن التحمل لمواقعته إياها))[47]. ثم تجملت له ودعتهُ لمخالطتها أي: مواقعتها وأحكمت عليه إغلاق الأبواب، وقيل إنها سبعة أبواب وقالت له: (هيت لك) أي: أقبل وبادر وافعل ما تريد، إلا أنه (عليه السلام) امتنع عن ذلك الطلب أشد الامتناع وقال لها: (معاذ الله) إنه ربي أحسن منزلي وأحسن إليَّ فلا أُقابلهُ بالفاحشة في أهله أبداً، وكانوا يطلقون كلمة الرب على السيد الكبير، إنه لا يفلح الذين يتجاوزون حدود الله[48]. قال تعالى: {وَغَلَّقَتِ الأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلا أَن رَّأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاء إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ}[49].

أجمع جمهور المفسرين على معنى قوله تعالى:{ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا}[50] إنها همت به هم الفعل وهم بها هم النفس، ثم تجلى واتضح له برهان ربه فترك[51]. وأنكر الشيخ محمد رشيد رضا في تفسيره المنار على الجمهور هذا الرأي وقال: إنها همّت بضربه نتيجة إبائه وإهانته لها وهي السيدة الآمرة، وهمّ هو برد الاعتداء، ولكنه آثر الهرب فلحقته وقدت قميصهُ من دبر[52]. وسرعان ما حدثت المفاجأة الغريبة المحرجة وذلك بقدوم زوجها وهما يستبقان إلى الباب، فيوسف (عليه السلام) فرَّ منها يريد الباب ليخرج، وهي أسرعت وراءهُ لتمنعهُ عن الخروج، {وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ}[53] أي لحقتهُ في أثناء هروبه، فأمسكت قميصهُ من ورائه، فقدّته، قداً فضيعاً، وقيل إن قميصه سقط عن جسده الشريف، وحينئذٍ وجدا سيدها عند الباب، وهو زوجها، فحاولت بمكرها التنصل عن جرمها وإلصاق التهمة بنبي الله يوسف (عليه السلام) فقالت: وكأن الجواب كان حاضراً، ما جزاء من أراد بأهلك فاحشة، إلا أن يحبس أو يعذب عذاباً مؤلماً موجعاً، فهي هنا تقرر نوع العقوبة المنزلة بيوسف (عليه السلام)، ثم انظر إلى قوله تعالى: {سَيِّدَهَا} ولم يقل سيدهما، لأن استرقاق يوسف (عليه السلام) لم يكن شرعياً[54]. ولابد من الإشارة هنا أن امرأة العزيز لم تطلب لنبي الله يوسف (عليه السلام)، عقوبة شديدة، وإنما أرادت أن يحبس يوماً أو أقل، على سبيل التحقيق أو التخويف لا غير، لأن حبها الشديد ليوسف (عليه السلام) حملها أن تشفق عليه، غير إنها من جانب آخر اتهمت يوسف (عليه السلام) وأرادت أن تختلق عذراً لكي تحمي سمعتها وكرامتها أمام

---

[45] سورة يوسف، آية: 23.

[46] الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 162/9.

[47] الكشاف، الزمخشري، 429/2.

[48] ينظر: القرآن العظيم، ابن كثير، 379/4، وروح المعاني، الآلوسي، 213/12، والميزان، الطباطبائي، 123/1.

[49] سورة يوسف، آية: 23–24.

[50] سورة يوسف، آية: 24.

[51] ينظر: التفسير المنير، وهبه الزحيلي، 240/12.

[52] ينظر: المنار، محمد رشيد رضا، 229/12، نقلاً عن (في ظلال القرآن)، سيد قطب، 1981/12.

[53] سورة يوسف، آية: 2.

[54] ينظر: الكشاف، الزمخشري، 432/2، وتفسير البيضاوي، 283/3.

زوجها[55]، وقال يوسف (عليه السلام) مدافعاً عن نفسه حينما اتهمتهُ بقصد السوء، هي راودتني عن نفسي، {وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا}[56], والشاهد ذلك الصبي الذي أنطقهُ الله تعالى في المهد قول النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم): ((تكلم أربعة وهم صغار ابن ماشطة بنت فرعون، وشاهد يوسف، وصاحب جريج وعيسى بن مريم))[57].

ثم شاع الخبر وانتشر ولاكته ألسنة ربات القصور من أمثال امرأة العزيز، التي لا هم لهن إلا أن يتحدثن عن خفايا القصور وأسرارها، وقالت النسوة في المدينة: امرأة العزيز، تراود فتاها العبراني المشترى عن نفسه، فقد شغفها حباً فيه فهي مفتونة به أي افتتان، فلما سمعت هذه المرأة الجريئة بكلام النسوة في المدينة، كادت لهن بنفس كيدهن، لما أعدت لهن مأدبة ودعتهن إليها، ثم أعطت كل واحدة منهن سكيناً، وبينما هن منشغلات بتقطيع اللحم أو الفاكهة، طلبت من نبي الله يوسف (عليه السلام) أن يدخل عليهن، فلما رأينهُ أي: رأين يوسف (عليه السلام) بهتن لطلعته وقلن: حاشا لله ما هذا بشرٌ بل هو ملك كريم، والسبب في ذلك جمالهُ، فقطعن أيديهن بالسكاكين لهذه المفاجئة التي كُنَّ في غفلة عنها، ثم قالت وبدون أي ستر أو حياء في تبجح المرأة في تلك الأوساط الغريبة، معترفة أمام الملأ قائلةً في ذلك :لقد بهرني مثلكن، فعشقتهُ فراودته عن نفسه فأبى واعتصم، {وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُوناً مِّنَ الصَّاغِرِينَ}[58] ثم قال نبي الله يوسف (عليه السلام) : {رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ}[59] فنجد هنا إن نبي الله يوسف (عليه السلام) لم يقل ما تدعوني إليه هذا إن يدل فهو يدل على أنهن كلهن كن مشتركات في دعوة يوسف (عليه السلام) لهن، وهذا يدل أيضاً على أنهن كن نساء مفتونات وفاتنات، ولهذا السبب دعا نبي الله يوسف (عليه السلام) ربه أن يبعد عنه كيدهن وذلك بدخول اليأس في نفوسهن من استجابة نبي الله يوسف (عليه السلام) لهن، فاستجاب له الله تعالى فصرف عنه كيدهن، ثم ظهر من المصلحة والرأي للعزيز وامرأته والشاهد بعد أن شاع الخبر، أن يسجنن نبي الله يوسف (عليه السلام) إلى أجلٍ غير معلوم موهمين بذلك أن نبي الله يوسف (عليه السلام) هو الذي راود هذه المرأة عن نفسها[60].

ثالثا: السجن:

بعد أن اتخذ العزيز وأهل مشورته قرارهم بحبس يوسف (عليه السلام) رغم اقتناعهم بعفته ونزاهته وبراءته, ادخلوه (عليه السلام) السجن إلى أجلٍ غير معلوم، إلا أن الله تعالى هيأ له خروجه من السجن عند دخوله إليه، هكذا يسبب الله تعالى الأسباب، قال سبحانه:{وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ}[61], حبس مع يوسف (عليه السلام) فتيان وهما من عبيد الملك، ساقي الملك خمر، وخبازه وهو الذي كان يقدم للملك الطعام، لأنه رفع للملك أنهم تآمرا عليه وذلك بوضع السم في شرابه أو طعامه، ثم شاء الله تعالى أن يرى الفتيين رؤيا، فقال الساقي، ليوسف (عليه السلام) : إني رأيت في المنام أعصر عنباً يصير بعدئذٍ خمراً، وقال الآخر أي الخباز: إني رأيت أني أحمل فوق رأسي خبزاً يأكل الطير منه. ثم قالا

---

[55] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 171/9، وروح المعاني، الآلوسي، 219/12.

[56] سورة يوسف، آية: 26.

[57] الجامع الصحيح، البخاري، برقم 3253، 1268/3.

[58] سورة يوسف، آية: 32.

[59] سورة يوسف، آية: 33.

[60] ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، 184/12-185.

[61] سورة يوسف، آية: 36.

لنبي الله يوسف (عليه السلام) أخبرنا بتأويل ما رأينا، وإنّا نراك من المحسنين، فانتهز نبي الله يوسف (عليه السلام) هذه الفرصة، ودعاهما إلى توحيد الله تعالى وترك عبادة الأوثان، وبهذا مهّد (عليه السلام) لدعوته فقال لهما: {قَالَ لاَ يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلاَّ نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيكُمَا}[62] وما أنا به من علم إلا من وحي الله تعالى إليَّ وتعليمه إياي، وليس هذا بكهانة أو عرافة أو تنجيم[63]. وهذا دليل أن نبي الله يوسف (عليه السلام) قد أوحي إليه في السجن[64]. ثم أوّل يوسف (عليه السلام) رؤياهم قائلاً: يا صاحبي السجن، أما أحدكما فهو لم يعينه هنا حتى لا يحزن الآخر، فيسقي صاحبه خمراً كما كان في عادته، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطيور الجوارح من رأسه ثم قال لها: لا تناقشا فيه بعد، ثم أخبر نبي الله يوسف (عليه السلام) لمن ظن أنه ناجي منهما وهو (الساقي) دون علم الآخر، حتى لا يشعره أنه المصلوب[65]، قال سبحانه: {يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِ قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ * وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِي عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ}[66], ثم طلب (عليه السلام) من الساقي: أذكر قصتي عند الملك، لعلهُ يخرجني من السجن بعد أن علم براءتي.

وهذا من قبيل الأخذ بالأسباب الظاهرية وهو جائز شرعاً طلباً للنجاة والإنقاذ من السجن وبعد ذلك تحقق تأويل الرؤيا. فخرج الساقي من السجن وعاد إلى ما كان عليه من سقي الملك، أما الخباز فصلب لإثبات التهمة عليه وأكلت الطيور الجوارح من رأسه، وتوالت السنون، وأنسى الشيطان ذلك الساقي، أن يذكر للملك قصة نبي الله يوسف (عليه السلام)، فلبث في السجن بضع سنين، والبضع هنا كما أشار إليه المفسرين من ثلاث إلى تسع وقال بعضهم إنها خمس وقال بعضهم إنها خمس وقال بعضهم إنها سبع وعلى أية حال فهي مدة طويلة من الزمن، صبر فيها يوسف (عليه السلام) وآثر أن يبقى في السجن على أن لا يقع في جريمة الزنا[67]. وهكذا بقي نبي الله يوسف (عليه السلام) في السجن يدعوا الله تعالى أن يفرج همه، حتى جاءهُ الفرج من الله تعالى وكان ذلك ما قدّره الله تعالى لملك مصر أن يرى في نومه رؤيا كانت سبباً مقدراً لخروج نبي الله يوسف (عليه السلام) من السجن معززاً مكرماً, قال تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ}[68], لعل سبب اهتمام الملك بهذه الرؤيا، أنه رأى الضعيف يغلب القوي، فخشى أن يكون لذلك صلة بحكمه لأن الملوك والحكام لا يخافون على شيء أكثر من خوفهم على سلطانهم ومكانتهم، فجمع لذلك أعوانه ووزرائهُ وكبار كهنته[69], لكنهم عجزوا عن تأويلها بحجة أنها أخلاط أحلام، وكان الساقي حاضراً لهذا الملأ الكبير[70]، فقال لهم: أنا أخبركم بتأويل هذا المنام فابعثوني، ولما كان الأمر يرجع إلى الملك فمن الطبيعي جداً أن يذهب هذا الساقي بنفسه إلى يوسف (عليه السلام) في السجن، فجاء إليه قائلاً

---

(62) سورة يوسف، آية: 37.

(63) ينظر: البحر المديد، أبو العباس الشاذلي، 383/3.

(64) ينظر: الكشاف، الزمخشري، 443/2، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، 272/12.

(65) ينظر: البحر المحيط، الأندلسي، 257/5، والقرآن، ابن كثير، 391/4.

(66) سورة يوسف، آية: 39.

(67) ينظر: تفسير البيضاوي، 290/3، وتفسير القرآن العظيم، 391/4، 392.

(68) سورة يوسف، آية: 43.

(69) ينظر: الطبري، 116/16، وزاد المسير، عبد الرحمن الجوزي، 229/4.

(70) ينظر: الكشاف، الزمخشري، 447/2-448، ومفاتيح الغيب، الرازي، 118/18.

أيها الصدِّيق، أي: كثير الصدق بأقوالك وأفعالك... افتنا في منام رآهُ الملك فلما قصها عليه، فاستمع له الصدِّيق فذكر له تعبيرها من غير لوم ولا عتاب على نسيانه ما وصاه به، فأوّل البقرات السمان والسنبلات الخضر بالسنين الخصبة، والبقرات العجاف والسنبلات اليابسات بالسنين المجدبة، ثم بشّرهم بعام يغاث فيه الناس أي: يأتيهم المطر[71]. ولم يكتف (عليه السلام) بتعبير الرؤيا فقط، بل بادر بوضع خطة عمل لهم لمواجهة سنوات القحط والجفاف، فأرشدهم إلى ما يفعلون في سنين الخصب من الغلال والزروع فادخروه في سنبله، لتكون أبقى على الزمان ولا تفسد، إلا المقدار القليل الذي تأكلونه، فادخروه ولا تسرفوا فيه لتستفيدوا منه في السبع الشداد الصعاب، وسميت شداد لشدتها على الناس، وهذه الأخبار بمغيبات المستقبل من وحي الله وإلهامه لا مجرد تعبير للرؤيا[72]. ثم يخبرنا الله تعالى بكتابه العزيز عن موقف ذلك الملك عندما سمع من الساقي تأويل الرؤيا، فاستراح لهذا التأويل، وأدرك بفراسته رجاحة عقل نبي الله يوسف (عليه السلام) وحدة ذكائه، فأمر أن يخرج من السجن حتى يسمع تأويل الرؤيا بنفسه فلما جاءهُ الرسول امتنع عن الخروج، حتى يتحقق الملك ورعيته من براءة ساحته ونزاهة عرضه عما تُنسب إليه زوراً وكذباً وظلماً من جهة امرأة العزيز[73], قال تعالى: {قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلاَّ قَلِيلاً مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ }[74].

المطلب الثالث:

الانتصارات

قبل البدء بعنوانات الانتصارات لابد من الإشارة إلى أن رغم المؤامرات والمكائد التي حيكت لنبي الله يوسف (عليه السلام), إلا أنه قد خرج منها منتصرا, لكن ليس تحت عنوان انتصار, فالصفة العامة هي مؤامرة ومكيدة (عقبة), وورودها كان بمثابة عوامل مهدت لأهداف اسما, قدرها الله تعالى, أهمها:

أولا: تمكين يوسف (عليه السلام) في الأرض:

بعد أن تحقق الملك مصر من نسوة المدينة في أمر نبي الله يوسف (عليه السلام) وكان هذا بناءً على طلب يوسف (عليه السلام) ظهر له بعد التحقيق براءته وصدقه وعفته فيما قال، فطلب إحضارهُ من السجن والسبب في ذلك ليكون يوسف (عليه السلام) من خاصته وأهل مشورته فيكون بهذا نبي الله يوسف (عليه السلام) من المصطفين المقربين لدى الملك، فلما سمع منه تعبير رؤياهُ، أُعجب به وبعلمه وحسن أدبه، فأعزه وأنزله لديه مكانة عالية، وسلَّمهُ مقاليد الحكم والسلطة وفوَّض إليه تصريف وإدارة الأمور السياسية والمالية في جميع أنحاء مصر[75] لقوله تعالى: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَآئِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَاء وَلاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلأَجْرُ الآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ}[76].

---

[71] ينظر: مفاتيح الغيب، الرازي، 119/18، والدر المنثور، السيوطي، 544/4.

[72] ينظر: البغوي، 297/4، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 203/9.

[73] ينظر: روح المعاني، الآلوسي، 257/12، والتفسير المنير، نخبة من أساتذة المنير، 150/4-151.

[74] سورة يوسف، آية: 47-49.

[75] ينظر: التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبه الزحيلي: 8/13، والقرآن العظيم، ابن كثير: 586/2.

[76] سورة يوسف، آية: 54-57.

النص القرآني الكريم يدل وبشكل واضح إلى شدة حب الملك لنبي الله يوسف (عليه السلام) وشوقه لرؤياه، ولابد من الإشارة هنا إلى الفرق الواضح بين أمر الملك أي ملك مصر قبل التحقيق وذلك لقوله تعالى على لسان الملك: {وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ}[77] وبيَّن أمر الملك بعد التحقيق لقوله تعالى على لسان الملك: {ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ}[78] ومما لاشك فيه أن العلم وحده لا يكفي لظهور فضل الإنسان فما عرف الملك مصر فضل هذا النبي الكريم بعلمه فقط عندما عبَّر له رؤياه التي أعجزت الملأ عن تعبيرها إنما عرف فضلهُ (عليه السلام) بعد التحقيق ورأى فيه حسن الخلق والأمانة والصدق والعفَّة إذ لا فائدة في علم لا خلق معهُ[79].

وبعد اللقاء الذي جمع فيه نبي الله يوسف (عليه السلام) بملك مصر تحمَّس النبي الكريم يوسف (عليه السلام) وتحدّث أمام الملك والملأ بكل ثقة واقتدار متحملاً في ذلك أخطر وأدق مرحلة في حياة الشعب المصري وهي مرحلة المجاعة الشديدة، لتوقف نهر النيل عن فيضانهِ لمدة سبع سنوات، فمن يستطيع أن يتحمل مثل هذه المسئولية الجسيمة التي يتهرّب منها الرجال لأنها مرحلة تحافظ على الإنسان والحيوان معاً من الموت المحدق[80].قائلاً في ذلك: اجعلني أيها الملك على خزائن الأرض فإني خازن أمين ذو علم وبصيرة، فإني حفيظ على أسرارك عليم بتسيير أمور مملكتك[81].

وسرعان ما وافق الملك على طلب نبي الله يوسف (عليه السلام) وجعله على خزائن مصر، وبهذا جمع الله تعالى لنبي الله يوسف (عليه السلام) (الملك والنبوة) وفي هذا رد على كل من يقول إن مهمة الأنبياء منحصرة بالدين ودعوة العباد إلى عبادة الله فقط وكأنما أرادوا من ذلك عزل الدين عن الحكم والسلطة وفي هذا تشويه لمهمة الأنبياء[82].ثم بيَّن الله تعالى فضلهُ على نبي الله يوسف (عليه السلام) عندما جعلهُ ذات مكانة عالية وصاحب الكلمة النافذة والتصرف المطلق في أرض مصر بعد أن صبر (عليه السلام) على أذى أقرب الناس له وهم إخوته وحينما صبر على السجن ظلماً، فلهذا كلهُ نصرهُ الله وأيَّدهُ، لأن الله تعالى لا يضيع أجر المحسنين[83].

ثانيا: مجيء إخوة يوسف (عليه السلام) طالبين:

لما أصاب الناس القحط والمجاعة والشدة، ونزل هذا في أرض كنعان أيضاً (فلسطين) منازل آل يوسف(عليه السلام)، جاء إخوة يوسف (عليه السلام) بأمر من أبيهم يعقوب (عليه السلام) إلى مصر للميرة، ولاسيما بعد أن عُرف يوسف (عليه السلام) وذاع صيتهُ وذلك لرحمته ورأفته وعدله، وكان نبي الله يوسف (عليه السلام) حينما نزلت الشدة بالناس يجلس في مكان البيع بنفسهِ، فيعطي الناس الطعام وذلك على عدد رؤوسهم، حمل بعير[84] وبهذا قال تعالى في كتابه العزيز: {وَجَاء إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُواْ عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَّكُم مِّنْ أَبِيكُمْ أَلاَ تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَاْ

---

[77] سورة يوسف، آية: 50.

[78] سورة يوسف، آية: 54.

[79] ينظر: الوحي والنبوة والعلم، عبد الحميد طهماز، 81.

[80] ينظر: يوسف الصدّيق، أحمد زين السماك، 82.

[81] ينظر: القرآن العظيم، ابن كثير: 586/2.

[82] ينظر: الوحي والنبوة والعلم، عبد الحميد طهماز، 84، 85.

[83] ينظر: الكشاف، الزمخشري: 455/2، ومفاتيح الغيب, الرازي، 2534/1.

[84] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، 13/11–12، والتفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبه الزحيلي، 14/13.

خَيْرُ الْمُنزِلِينَ * فَإِن لَّمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلاَ كَيْلَ لَكُمْ عِندِي وَلاَ تَقْرَبُونِ * قَالُواْ سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ * وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُواْ بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انقَلَبُواْ إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَلَمَّا رَجِعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ * قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلاَّ كَمَا أَمِنتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَاللّهُ خَيْرٌ حَافِظاً وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * وَلَمَّا فَتَحُواْ مَتَاعَهُمْ وَجَدُواْ بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُواْ يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَـذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ * قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقاً مِّنَ اللّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلاَّ أَن يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ * وَقَالَ يَا بَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ * وَلَمَّا دَخَلُواْ مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُم مَّا كَانَ يُغْنِي عَنْهُم مِّنَ اللّهِ مِن شَيْءٍ إِلاَّ حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ}[85].

لما دخلوا الإخوة على يوسف (عليه السلام) وهو جالس في رياسته وسيادته وأبهته أي: في منصبه الرفيع عرفهم نبي الله يوسف (عليه السلام) حين نظر إليهم، وهم له منكرون، أي: لا يعرفونه، والسبب في ذلك لأنهم فارقوه وهو صغير حدث وباعوه للسيارة، ولم يدروا أين يذهبون به، والملامح عادةً في حال الصغر تتغير كثيراً في حال الكبر على عكس ملامح الكبار فهي لا تتغير كثيراً. وكذلك فهم قدّروا هلاكهُ، وما كانوا يشعرون في أنفسهم أن يوسف (عليه السلام) يصير إلى ما صار إليه، ولنسيانهم له بطول العهد[86]. ثم شرع (عليه السلام) يخاطبهم، فقال لهم وهو يظهر إنكارهُ لهم، من أنتم، وما هو السبب في مجيئكم إلى بلادي؟ فقالوا: أيها العزيز أي عزيز مصر، إنا قدمنا للميرة أي: لطلب الطعام لما نزل بنا من الجوع والقحط، فقال لهم (عليه السلام) لعلكم عيون، فقالوا له: معاذ الله، ثم قال لهم: فمن أين أنتم؟ قالوا: من بلاد كنعان، وأبونا نبي الله يعقوب (عليه السلام) ثم قال: وله أولاد غيركم؟ قالوا: نعم، كنا اثني عشر ولداً، فذهب أصغرنا للبرية، فهلك هناك، وكان أحبنا إلى أبيه، وبقي شقيقهُ فاحتبسهُ أبوه ليتسلى به عنهُ، فأمر (عليه السلام) بإنزالهم وإكرامهم[87]. ولما أوفى لهم كيلهم، وأعطاهم ما جاءوا إلى مصر لأجلهِ، أي: حمل أحمالهم من القمح، وهي عشرة أحمال وزادهم حملين آخرين لأبيهم وأخيهم، وكان (عليه السلام) يعطي لكل واحد حمل بعير، ثم قال لهم (عليه السلام): إذ جئتم في المرة القادمة فائتوني بأخيكم من أبيكم، ألا ترون إني أوفي الكيل كاملاً دون بخس، وأزيدكم حمل بعير لأخيكم وأنا خير المضيفين للضيوف، وكان (عليه السلام) أحسن في ضيافتهم والسبب في ذلك لترغيبهم في الرجوع إليه، ونجده (عليه السلام) بعد أن رغبهم أنذرهم وذلك بقوله: فإن لم تحضروا أخاكم لي في المرة القادمة فلا ميرة لكم عندي ولا تدخلون بلادي هذا، ثم قالوا له: سنجتهد في طلبه من أباه، ونحاول بكل إمكانيتنا أن نقنع إياه بذلك، و{وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ} أي: سنحرص كل الحرص على مجيئهِ إليك لتعلم إنا صادقين فيما قلناه لك[88]. ثم أمر (عليه السلام) فتيانه أن يضعوا ثمن الطعام الذي أحضروه معهم لشراء الميرة في رحالهم دون أن يشعروا بذلك والسبب في ذلك لكي يعرفوا كرمهُ، وسخائه وإحسانه فهذا يبعثهم على العودة إليه مرةً أخرى وهذا هو ما أراده نبي الله يوسف(عليه السلام)[89] وبعد ذلك رجعوا إلى ديارهم في أرض كنعان وأخبروا أبيهم نبي الله يعقوب (عليه السلام) بما

---

[85] سورة يوسف، آية: 58–68.

[86] ينظر: الطبري، 153/16، والقرآن العظيم، ابن كثير، 397/4.

[87] ينظر: القرآن العظيم، ابن كثير، 398/4، والبغوي، 254/4.

[88] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 221/9–222، وتفسير البيضاوي: 296/1.

[89] ينظر: الكشاف، الزمخشري، 457/2، ومفاتيح الغيب, الرازي, 2537/1.

حدث لهم، من حسن الضيافة والكرم من عزيز مصر، ثم طالبوا أبيهم أن يرسل معهم أخاهم (بنيامين) في المرة القادمة، لأنهم أنذروا بمنع الكيل عنهم فقالوا لأبيهم: أرسلهُ معنا حتى نرفع به المانع ونكتل من الطعام ما نحتاج إليه فينضمُ اكتيالهُ إلى اكتيالنا[90]، فقال لهم(عليه السلام): كيف آمنكم عليه أي: على (بنيامين)، وهل حافظتم على أخيه يوسف من قبل، ثم استدرك نبي الله يعقوب (عليه السلام) قائلاً لهم: حفظ الله خير من حفظكم؟ ثم قال: أُفوض أمري إلى الله تعالى وأعتمد عليه فهو خير حافظ وهو أرحم الراحمين، وبهذا نستطيع أن نقول: إن نبي الله يعقوب (عليه السلام) لم يرفض طلبهم، والسبب في ذلك إلى القحط والمجاعة الشديدة الذي اضطره إلى إرسال ولده بنيامين معهم[91]. وبعد أن فتحوا رحالهم وجدوا فيها ثمن الطعام الذي اشتروا به القمح، مما جعلهم يؤكدون في طلبهم بإرسال أخيهم معهم هذه المرة فقالوا لأبيهم: {يَا أَبَانَا} ماذا نريد بعد من هذا الرجل فقد أكرمنا وأحسن إلينا ولابد أن نقابل هذا الإحسان بالاستجابة لطلبه، وكذلك نحضر الميرة لأهلنا، ونحافظ على أخينا ونحن بهذا نزداد كيل بعير، ثم عللوا لأبيهم بعلة ثانية وهي إن الذي أحضرناهُ من الميرة أي: الطعام لا يكفينا فلابد من الرجوع مرةً أخرى[92]. وبعد هذا وافق نبي الله يعقوب (عليه السلام) بإرسال ولده الصغير بنيامين معهم، بعد أن أخذ منهم ميثاق مؤكد بالإيمان المغلظة على المحافظة عليه وحمايته إلا أن تهلكوا أو تقتلوا فلا تستطيعون ردهُ، ثم أوصاهم نبي الله يعقوب (عليه السلام) عندما أرادوا العودة إلى مصر مرةً أخرى، أن لا يدخلوا جميعاً من باب واحدة بل يدخلوا من أبواب متفرقة لأنه خشي عليهم من الحسد لما كان لهم من الهيئات الحسنة والجمال، ولا ضير في ذلك لأنه من باب الأخذ بالأسباب الظاهرة[93].

ثالثا: لقاء نبي الله يعقوب بولده يوسف (عليهما السلام) وتحقيق الرؤيا:

قال تعالى في كتابه العزيز على لسان إخوة يوسف: {وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيْرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ * قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ * قَالُواْ تَاللهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضاً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ * قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * يَا بَنِيَّ اذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُواْ مِن رَّوْحِ اللهِ إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ * فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَيْهِ قَالُواْ يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُّزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ * قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ * قَالُواْ أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَاْ يُوسُفُ وَهَـذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللهُ عَلَيْنَا إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ فَإِنَّ اللهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * قَالُواْ تَاللهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ * قَالَ لاَ تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ * اذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَـذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ * وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلاَ أَن تُفَنِّدُونِ * قَالُواْ تَاللهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلاَلِكَ الْقَدِيمِ * فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ * قَالُواْ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَاطِئِينَ * قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّيَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللهُ آمِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّداً وَقَالَ

---

[90] ينظر: الكشاف، الزمخشري: 2/457-458.

[91] ينظر: الطبري: 6/156، والوحي والنبوة والعلم: 91.

[92] ينظر: البحر المديد، أبو العباس الشاذلي الفاسي، 3/402، والكشف والبيان، أبو إسحاق النيسابوري، 5/236.

[93] ينظر: المحرر الوجيز، أبو محمد، عبد الحق بن عطية الأندلسي، 3/270، وبحر العلوم، أبو ليث، نصر بن محمد السمرقندي، 2/201.

يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ الأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنُيَا وَالآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ}[94].

طلب أولاد نبي الله يعقوب (عليه السلام) من أبيهم أن يتحقق بنفسه من الخبر الذي حملوه له في سرقة أخوهم بنيامين صواع الملك فاسترقه الملك حسب شريعتهم، ولما علموا أن أباهم لا يصدقهم في هذا حتى ولو كانوا صادقين، بسبب ما وجدوهُ من كذبهم عندما جاءوهُ عشاءً يبكون، وأخبروه بأن الذئب قد أكل يوسف(عليه السلام)، فقالوا له: اسأل القرية التي كنا فيها أي: (مصر)، واسأل أصحاب العِير التي كنا معهم، فقد اشتهر أمر هذه السرقة فيهم[95]، فقال لهم مثل قولهِ عندما جاءوه عشاءً يبكون {قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ}[96]. أي، زيَّنت وسهلت لكم أنفسكم أمراً، ففعلتم كما فعلتم بيوسف وكدتم مرةً أخرى لأخيكم، ثم قال: عسى الله أن يأتيني بيوسف وبنيامين وأخيهما الذي توقف بمصر أنه هو العليم بحالي وحالهم الحكيم بتدبير الأمور كلها، ثم أعرض عنهم وأظهر أسفه على يوسف، والأسف هو أشد الحزن والحسرة[97]. وابيضت عيناهُ من الحزن لكثرة البكاء والحزن الشديد فكأن العبرة محقت سواد العين وقيل: ضعف بصره الشريف وقيل إنه عمي(عليه السلام)[98].

والحزن الشديد يدل على قوة مشاعر الأبوة في قلب نبي الله يعقوب (عليه السلام) وهذه المشاعر الإنسانية لا يشعر بها كل الناس ولكن يشعر بها قلوب الكُمَّل من الناس، وكلما زاد الإنسان إيماناً بالله تعالى، كانت مشاعرهُ وعواطفه الأبوية أقوى في قلبهِ وأنصع في نفسه، فالإيمان بالله تعالى يجعل من الإنسان إنساناً كما أنه يفجر فيه ينابيع الخير والإحسان والحنان[99]. ولهذا نرى الكفار عادةً يغلب عليهم ضعف المشاعر الإنسانية، ولا عجب أن نراهم يقطعون أرحامهم، ويتخلون عن أبنائهم حتى أصبحت قطيعة الرحم عندهم وانحلال أسرهم وقسوة قلوبهم من السمات البارزة في مجتمعهم[100]. ثم أقبل أولادهِ أي: أولاد نبي الله يعقوب يلومونه بدل أن يخففوا عليه فقالوا له: لا تزال تذكر يوسف (عليه السلام) حتى تكون مشرفاً على الموت أو الهلاك بسبب المرض، ثم قال لهم: إني لا أشكو حزني وبثي إلى أحدٍ منكم وإنما أشكو حزني وبثي هذا لله تعالى، والبث: هو أصعب الهم الذي لا يصبر عليه صاحبه، وسمي بثاً لأن صاحبه يبثهُ أي: ينشرهُ إلى الناس[101]. ثم قال لهم نبي الله يعقوب (عليه السلام) لأولاده: إني أعلم من رحمة اللهِ وإحسانه ما لا تعلمون، فهذا كان إشارة إلى أنه كان يتوقع أن يرى يوسف (عليه السلام) أو يتوقع وصوله إليه، ثم أمر نبي الله يعقوب أولاده أن يذهبوا إلى مصر للمرة الثالثة بحثاً عن يوسف وأخيه، لأنه كان يشعر بذلك ويرى ذلك بعين النبوة التي لا تخطئ أبداً، أما قوله(عليه السلام): {فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ}[102] فالتحسس

---

[94] سورة يوسف: آية 82 – 101.

[95] ينظر: البيضاوي، 304/3، والتفسير المنير، وهبة الزحيلي، 44/13.

[96] سورة يوسف، آية: 83.

[97] ينظر: البيضاوي، 304/3.

[98] ينظر: البغوي، 267/4، والبيضاوي، 305/3.

[99] ينظر: الوحي والنبوة والعلم، عبد الحميد طهماز، 102.

[100] ينظر: الأنساب والأولاد، عبد الحميد طهماز، 41، نقلاً عن الوحي والنبوة والعلم، عبد الحميد طهماز، 102.

[101] ينظر: الزمخشري، 470/2، ومفاتيح الغيب, الرازي، 2553/1.

[102] سورة يوسف، آية: 87.

عادةً يكون في الخير أما التجسس فيكون دائماً في الشر، ثم قال لهم: لا تقنطوا من فرج الله تعالى لأنه لا يقنط من فرج الله إلا القوم الكافرون وهذا دليل على إن القنوط من الكبائر[103]. ثم نجد إن إخوة يوسف لم يستجيبوا إلى طلب أبيهم حتى نفذت ميرتهم أي: طعامهم، فذهبوا إلى مصر بحثاً عن الميرة، فلما دخلوا على يوسف (عليه السلام) قالوا: يا أيها العزيز، أي: عزيز مصر أصابنا وأهلنا الجوع والحاجة وهذا إن يدل فهو يدل على جواز الشكوى لدفع البلوى، ثم قالوا له: ولم نجد عندنا إلا بضاعة ناقصة غير تامة لا يقبلها أحد، {فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ} أي: أتم لنا الكيل وتصدق علينا وذلك بقبول هذه البضاعة وإن كانت ناقصة كاسدة، إن الله تعالى يجزي المتصدقين بالآخرة[104]. ثم يقول الله تعالى بعد ذلك مخبراً عن نبي الله يوسف (عليه السلام) أنه لما ذكر له إخوته ما أصابهم من الجوع والنقص والضيق وعموم الجدب، تذكّر هنا أباهُ وما هو فيه من الحزن الشديد لفقد ولديه، فعند ذلك أخذته الرأفة والرقة على أبيه وإخوته، فقال لهم: {قَالَ هَلْ عَلِمْتُم مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنتُمْ جَاهِلُونَ}[105] أي: هل علمتم ماذا فعلتم بيوسف عندما ألقيتموه في البئر وفرقتموه عن أبيه وأخيه، فبعد أن ذكّرهم بما فعلوا، قال لهم ما فعلتم هذا إلا لجهلكم بمقدار ما فعلتموه أو ارتكبتموه[106]. وهذا إن يدل فهو يدل أن يوسف(عليه السلام)، عندما عرَّفهم بنفسه كان بإذن الله تعالى، كما أنه أخفى منهم نفسه في المرتين الأوليتين كان بأمر الله تعالى[107]. ثم قالوا له(عليه السلام): إنك أنت يوسف متعجبين من ذلك متفاجئين والسبب في ذلك لأنهم كانوا يترددون إليه سنتين وأكثر، وهم لا يعرفونه ولا حتى يشعرون به، وهو يعرفهم ويكتم نفسه عنهم فلهذا قالوا له على سبيل الاستفهام، عندما قالوا: (أئنك يوسف) ؟، ثم قال لهم: نعم أنا يوسف وهذا أخي قد مَنَّ الله تعالى علينا، وذلك بجمعنا بعد التفرقة وبعد هذه السنين الطويلة لأن من يتقي الله ويصبر فإن الله تعالى حسبه وكافيه من كل سوء، واللهُ لا يضع أجر من أحسن عملاً في الدنيا والآخرة وهذه شهادة من الله تعالى بأن يوسف (عليه السلام) من المتقين الصابرين المحسنين[108] ثم اعترف إخوة يوسف (عليه السلام) بأن الله تعالى فضلهُ عليهم، واعترفوا أنهم كانوا مخطئين في حقه بما صدر منهم نحوه والخطأ هنا متعمداً أي: إنهم كانوا متعمدين في ذلك وكان كل هذا لحسدهم له وغيرتهم منه[109]، ثم قال لهم: لا تأنيب ولا لوم عليكم اليوم عندي، ثم توجه إلى الله تعالى بأن يغفر لهم ذنوبهم لأنه صفح عن جريمتهم، واعترفوا بها، واللهُ أرحم الراحمين[110]. ثم أمرهم (عليه السلام) أن يذهبوا بقميصه إلى أبيه لكي يرتدُّ بصيراً لأنه عمي من كثرة البكاء، ثم قال لهم ائتوني بجميع بني يعقوب(عليه السلام)، وبعد أن خرجت العِير أي: القوافل من مصر وهاجت الريح فجاءت بريح قميص يوسف (عليه السلام) فقال يعقوب(عليه السلام): إني أجد ريح يوسف (عليه السلام) فوجد ريحهُ الكريمة من مسيرة ثمانية أيام، لولا أن تنسبوني إلى الفند والكبر والخرف وما كان هذا إلا بمعجزة من الله تعالى ثم أغلظوا عليه بالقول وما كان ينبغي لهم أن يقولوا مثل هذا القول إلى نبي الله يعقوب (عليه السلام) عندما قالوا له: إنك لفي خطئك وحبك القديم[111].

---

[103] ينظر: مفاتيح الغيب, الرازي ، 2554/1، والجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 252/9.

[104] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، 253/9–254، والوحي والنبوة والعلم، عبد الحميد طهماز، 104.

[105] سورة يوسف، آية: 89.

[106] ينظر: القرآن العظيم، ابن كثير، 408/4.

[107] المصدر نفسه: 408/4.

[108] ينظر: البغوي، 274/4، والنسفي، 203/2.

[109] ينظر: البحر المحيط، الأندلسي، 281/5.

[110] ينظر: البيضاوي، 307/3.

[111] ينظر: القرآن العظيم، ابن كثير، 409/4، وصفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، 65/2.

فلما جاء البشير حاملاً القميص وقيل إنه يهوذا ألقاهُ على وجه يعقوب (عليه السلام) فرجع بصيراً أي، صيّرهُ الله بصيراً كما كان، فعظمت فرحتهُ وانشرح صدرهُ، وزالت أحزانهُ فعند ذلك قال لبنيه: ألم أقل لكم إني أعلم من الله ما لا تستطيعون أن تعلموه أنتم من حياة يوسف(عليه السلام)، ثم قالوا إخوة يوسف (عليه السلام) لأبيهم: يا أبانا اطلب من الله تعالى أن يغفر لنا ذنوبنا التي اقترفناها، لأننا كنا متعمدين للإثم في أمر يوسف(عليه السلام)، ثم قال لهم(عليه السلام): سوف أستغفر لكم ربي، وظاهر الكلام يدل على إنه (عليه السلام) لم يستغفر لهم في الحال، ولعل السبب في ذلك لأنه (عليه السلام) أراد أن يستغفر لهم في وقت السحر، ولاسيما إنه من أوفق الأوقات في الإجابة[112]. ثم خرج نبي الله يعقوب (عليه السلام) وأولاده إلى مصر، فلما دخلوا على يوسف (عليه السلام) ضم إليه أبويه وهما أباهُ وأمه إكراماً لهما، وعن ابن عباس أنها كانت خالته (ليا) لأن أمه قد ماتت في نفاس (بنيامين)[113] فعندما دخلوا عليه أجلسهم على سرير مرتفع عما حوله، ثم قال لهم: ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين، فانحنوا له أي: أبوه وأمهُ سجود انحناء وتواضع والتواضع قد يسمى سجوداً ولاسيما أن الانحناء كان تحيتهم في ذلك الزمان، وكان انحناء تحية لا انحناء عبادة[114]. ثم قال نبي الله يوسف (عليه السلام) لأبيه يعقوب(عليه السلام): يا أبتِ هذا تأويل رؤياي التي رأيتها وقصصتها عليك من قبل قد جعلها الله تعالى اليوم حقاً وصدقاً، وقد أحسن الله تعالى عندما أخرجني من السجن بعدما ابتليت به، ولم يصرح (عليه السلام) هنا بقصة الجب حتى لا يلوم أو يؤنب إخوته على ذلك لأن ظاهر الكلام يدل على وجودهم في مجلسه عقيب خرورهم سُجَّداً[115]. وقد أحسن الله تعالى عندما جاء بكم من البادية التي كانوا يقيمون بها، بعد أن أفسد الشيطان بيني وبين إخوتي وذلك بالإغواء لهم، إن الله تعالى لطيف في تدبيره، رفيق حتى يجيء على وجه الحكمة والصواب، ثم توجَّه (عليه السلام) إلى الله تعالى بدعاء جامع اعترف فيه بفضل الله تعالى عليه عندما جعله على ملك مصر وعلمهُ تأويل الأحاديث، (فاطر السماوات والأرض) أي مبدعهما وخالقهما أنت مالك أموري كلها أي: في الدنيا والآخرة اقبضني إليك مسلماً وألحقني بالصالحين من آبائي أو بعامة الصالحين في الرتبة والكرامة[116].

الخاتمة:

أهم النتائج التي توصل إليها البحث نجملها في يأتي:

1- كتمان الأخبار التي يُخشى إذا علم بها الآخرون أن تسبب الضرر للإنسان، فسيّدنا يوسف (عليه السلام) عندما رأى رؤيا سجود الشمس والقمر والكواكب له أمره أبوه يعقوب (عليه السلام) أن يكتم هذه الرؤيا؛ حتى لا يكيد له إخوته كيدا يضره.

2- الثبات على الحق ومجابهة الفتن، فسيدنا يوسف (عليه السلام) بقي ثابتا على دينه ودعوته ومنهجه أمام إغراءات امرأة العزيز وفتن السلطان حتى تحمل في سبيل ذلك آلام السجن، وقد كانت عاقبة ثباته على الحقّ أن مكّن الله له في الأرض يتبوأ منها حيث يشاء.

---

[112] ينظر: السراج المنير، شمس الدين، محمد بن أحمد الشربيني، 2/108-109.

[113] المصدر نفسه، 2/109.

[114] المصدر نفسه.

[115] ينظر: تفسير أبي السعود، 4/307.

[116] ينظر: تفسير أبي السعود، 4/308، والتحرير والتنوير، ابن عاشور، 13/57-58-59.

3- حقيقة الحسد، فقد أمر سيدنا يعقوب (عليه السلام) إخوة يوسف أن يدخلوا من أبواب مختلفة وألا يدخلوا من باب واحد؛ وذلك لأنّه خشي عليهم من الحسد والعين وخوفه عليهم من ان يكيد احدا بهم .

4- الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر سنة إلهية للأنبياء والصالحين، فقد صبر يعقوب (عليه السلام) على بعد ابنه وفقدانه، وكانت عاقبة الصبر الجزاء الحسن في الدّنيا حينما جمع الله شمل العائلة من جديد مع ما ينتظرها من الجزاء الحسن في الآخرة

المصادر:

- القرآن الكريم.
- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود، محمد بن محمد العمادي، ت: 951هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ناصر الدين أبو السعيد، بعد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ت: 791هـ، دار الفكر، بيروت.
- بحر العلوم، أبو الليث، نصر بن محمد بن إبراهيم السمرقندي، ت: 383هـ، تحقيق: د. محمود مطرجي، دار الفكر، بيروت.
- البحر المحيط، لأبي عبد الله، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، ت: 745هـ، دار الفكر.
- البحر المديد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الإدريسي الشاذلي الفاسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، 1423هـ-2002م.
- البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، ت: 774هـ، مكتبة المعارف، بيروت.
- التبيان في تفسير القرآن، أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي، ت: 460هـ، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي، المطبعة الأولى، 1209هـ.
- تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ت: 1392هـ، الدار التونسية، تونس، 1984م.
- التفسير الوسيط للقرآن الكريم, محمد سيد طنطاوي, دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة.
- جامع البيان في تأويل القرآن، أبو جعفر، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، الطبري، ت: 310هـ، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، 1420هـ-2000م.
- الجامع الصحيح، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل الجعفي البخاري، ت: 256هـ، تحقيق: مصطفى ديب البغا، بيروت، الطبعة الثالثة، 1983م.

- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، ت: 671هـ، تحقيق: أحمد البردوني، إبراهيم احفيش، دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية، 1384هـ-1964م.
- الدار المنثور، عبد الرحمن بن كمال، جلال الدين السيوطي، ت: 911هـ، دار الفكر، بيروت، 1993م.
- الرازي، محمد بن عمر بن الحسين الرازي الشافعي المعروف بالفخر الرازي، ت: 606هـ، دار إحياء التراث العربي.
- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، أبو الفضل، شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي، ت: 1270هـ، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ت: 597هـ، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، 1404هـ.
- شرح التسهيل محمد بن عبد الله بن عبد الله, الشهير بابن مالك, ت: 672ه, تحقيق: عبد الرحمن السيد, و محمد بدوي المختون, هجر للطباعة والنشر, مصر, الطبعة الأولى, 1990م.
- الصافي، الفيض الكاشاني، ت: 1091هـ، صححه وقدم له وعلق عليه: الشيخ حسين الأعلمي، مؤسسة الهادي، قم المقدسة، مكتبة القدر، طهران.
- صفوة التفاسير، محمد علي الصابوني، دار الصابوني.
- عمدة القاري, بدر الدين العيني, ت: 855ه, دار إحياء التراث العربي, بيروت.
- في ظلال القرآن، سيد قطب، ت: 1966هـ، دار الشروق، القاهرة، الطبعة العاشرة، 1981م.
- القرآن الحكيم (المنار)، محمد رشيد بن علي رضا، ت: 1354هـ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1990م.
- القرآن العظيم، أبو الفداء، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي، ت: 774هـ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1420هـ-1999م.
- قصص الأنبياء والتاريخ، رشدي البدراوي، 1997م.
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم، محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي، ت: 538هـ، تحقيق: عبد الرزاق مهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الكشف والبيان، أبو إسحاق، أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي النيسابوري، تحقيق: الإمام محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت – لبنان، 1422هـ-2002م.

- مجمع البيان في تفسير القرآن، أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي، ت: 548هـ، تحقيق: لجنة من العلماء والمحققين الأخصائيين، قدم له، السيد محسن الأمين العاملي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ-1995م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز, أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي, ت: 541ه, تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد, الطبعة الأولى, دار الكتب العلمية, لبنان, 1993م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد، عبد الحق بن عطية الأندلسي، ت: 546هـ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، لبنان، 1413هـ-1993م.
- مسند الإمام أحمد، أحمد بن حنبل الشيباني، ت: 241هـ، مؤسسة الرسالة، مصر – القاهرة، الطبعة الأولى.
- معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد، الحسين بن مسعود البغوي، ت: 510هـ، تحقيق: محمد عبد الله النمر، عثمان جمعة خميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، 1417هـ-1997م.
- المعجم الكبير، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير الشامي الطبراني، ت: 360هـ، تحقيق: محمود الحاج امريد، المكتب الإسلامي، بيروت، عمان، دمشق، الطبعة الأولى، 1405هـ-1985م.
- مقاييس اللغة, أبو الحسين أحمد بن فارس, ت: 395ه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون, دار الفكر, 1979م.
- المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، وهبه بن مصطفى الزحيلي، دار الفكر المعاصر، دمشق، الطبعة الثانية، 1418هـ.
- الميزان في تفسير القرآن، العلاَّمة السيد محمد حسين الطباطبائي، ت: 1412هـ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية في قم المقدسة.
- الوحي والنبوة والعلم في سورة يوسف، عبد الحميد طهماز، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، الطبعة الأولى، 1410هـ-1990م.
- يوسف الصديق، رؤية قرآنية، السيد كمال الحيدري، بقلم: محمود نعمة الجياشي، دار فراقد، إيوان، الطبعة الأولى، 1426هـ-2005م.
- يوسف بين مكر الأخوة وكيد النسوة, محمد علي ابو العباس, مكتبة الساعي, الرياض.
- يوسف في القرآن الكريم والتوراة، دراسة مقارنة للمشاهد والعبر، زاهية راغب الدجاني، دار التعريف بين المذاهب الإسلامية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى، 1415هـ–1994م.